المشرق

قبل الولادة وبعد الموت

ردّ على المقتطف

للاب انطون صالحاني اليسوعي

نشر المقتطف في الجزء الثاني عشر المؤرخ في ك ١ سنة ١٩٠٥ مقالةً صدَّرها بهذا العنوان « قبل الولادة وبعد الموت » فسال بادئ بدء :

« اين كانت نفوسنا قبلما وُلدنا واين تذهب بعد ما نموت أو ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها . هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الّا وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد »

ان المقتطف اصاب كل الاصابة بقوله ان هذه المسألة هي مسألة المسائل . لانهُ لو لم يكن في الانسان نفس روحيَّة مميَّزة عن المادَّة وكان الانسان جسماً فقط يتولد وينمو ثم يموت وينحلّ وترجع عناصره الى الارض التي أُخذت منها او بعبارة اخرى لو كان الانسان لا يتميز عن الحيوان فلمَ هذا التعب وهذا الجهاد . وما الفائدة من انصابهِ على البر وابتعاده عن الشرّ وملازمتهِ العدل وهجره الجور . افلا تؤيد هذه المزاعم مبدأ الدهري ان لا يهتم الّا لهذه الحياة الفانية وان « يأكل ويشرب ويجتني ثمرة ما يعانيهِ من التعب تحت الشمس مدة ايام حياتهِ » (الجامعة ٥ : ١٧) فيقول مع المنافق : « ان كان الاموات لا يقومون فلنأكل ونشرب فانّا غداً نموت » (١ كورنتس ١٥ : ٣٢)

وبعد ان عرض المقتطف هذا السؤال الى مجواب يأسف لقراءته كل عاقل سيما اذا عرف ذكاء اصحاب المقتطف. وهذا جوابهُ :

« الاديان المختلفة تحلُّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبني على الحس والمشاهدة . والذين يبحثون عن ادلة علمية لمعرفة ما كان الانسان عليه قبلما وُلد وما يصير اليه بعد ما يموت فتتان فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم . وفئة تقول ان في الجسم الحي روحاً وهذه الروح تنفصل عنهُ احياناً فيبقى حيًّا وتغادرهُ عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحلَّ في جسم آخر . ويدَّعون انهم وجدوا ادلة تؤيد ذلك فكأنهم عادوا الى مذهب التقمص الذي قال بهِ القدماء ولا يزال الهنود يقولون بهِ الى الان »

مهلًا ايها العالم الفيلسوف فان اكثر الاديان شهرةً في العالم هي دين اليهود ودين النصارى ودين الاسلام وهي الاديان الثلاثة القائلة بتوحيد الله . وهذه الاديان تتفق في تعليمها بان نفس الانسان مخلوقة من الله راساً لا تموت بانفصالها عن الجسد بل تبقى حيَّة لتنال جزاء ما قدمتهُ في وقت اتحادها مع الجسم من خير او شر . وقولهم هذا ليس حدساً وتخميناً بل يقيناً مثبتاً بالبراهين العقلية والقياسات المنطقيَّة فعلى اي دليل اعتمدت اذًا لتزعم مؤكدًا بأن « الاديان المختلفة تحلّ هذا السؤال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً » وانت ترى ان اكثر الاديان شهرة تقول خلاف ما تزعم انت

افتكر وانت العالم شهرة هذه الاديان وانتشارها في العالم . فاي دين تعني اذًا مدعياً ان تعليمهُ عن ماهية النفس هو حدس وتخمين . او تعني بقولك « الاديان المختلفة » اديان الوثنيين والكفرة . الَّا انَّ الوثنيين انفسهم كالمصريين القدماء والفرس واليونان والرومان واهل الصين واليابان اعتقدوا وجود نفس مميزة عن المادة تبقى بعد الموت لتجازى على الخير او الشر . والامر بيّنٌ لا يحتاج الى برهان او ايضاح . امَّا الكفرة والطبيعيون الذين ينكرون وجود الله ولا يرضون بالدين ايًّا كان فنسلّم لك بانهم انكروا في الماضي وينكرون اليوم وجود نفوس روحية مميَّزة عن المادة فيحلُّون سؤالك « على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً » بل جهلًا وضلالًا.

فاذا كان هذا هو الدين الذي تشير اليه فاوضح العبارة وافصح في الكلام ليعرف القراء رايك ويطلعوا على افكارك

اما ما اضفته: «.. او كونها علماً عالياً غير مبني على الحسّ والمشاهدة» فقد بلغت فيه منتهى العجب مناقضاً كل المبادئ الفلسفية. أفتجهل والجهل ليس مما يعزى اليك ان كثيراً من الحقائق هو صحيح ثابت وان كانت لا تُبنى على الحسّ والمشاهدة لانها تُستخرَج بالبراهين والادلّة العقليّة. فلو سلّمنا بالمبدإ الذي وضعتَهُ عفواً لالتزمت ان تنفي الحقائق العقليّة المقرَّرة. فهذه حقيقة وجود الله التي يبيّنها الدليل ويثبتها العقل تضحي تبعاً لمبدئك متزعزعة غير راهنة وهكذا القول عن الحقائق المنطقيّة والفلسفية لانها لا تبنى على الحسّ والمشاهدة. او تظن ان النفس الروحية تُعلن بالتشريح كالجسم او تُرى بالمجهر كالمكروب الحمي

فقد ثبت اذاً ان الاديان هي بريئة مما اتّهمتها به. ولا ندري لماذا ادخل المقتطف الدين في مسألة البحث عن روحية النفس لان هذا البحث فلسفي محض يتناولهُ كل انسان عاقل بمعزل عن الدين

ثمّ انتقلتَ من الاديان الى العلم فقلت ان «الذين يبحثون عن ادلّة علميّة لمعرفة ما كان الانسان عليه قبلما وُلد وما يصير اليه بعد ما يموت فتنان...» ولكن فاتك ان اوّل صفة للعالم هي ان يعلم الحقيقة ولا يموّهها ولا يخفي جزءاً منها عمداً ولا يغرّ من يطلب او يقبل منهُ العلم. فاذا كان المقتطف يجهل الحقيقة التي يبحث عنها فليس اذاً بعالم. وعليه ان ينصبّ على مطالعة الكتب الجديرة بالاعتبار ليعرف ما ينقصهُ. ولا يكتفينّ بمطالعة كتب الماديين الكفرة الذين لا يعرفون الّا المادّة وقواها وما يقع تحت الحواس. فانّ من لا يطالع الّا كتب الطبيعيين معرضاً عمّا كُتب لتفنيد آرائهم الفاسدة لا بدّ من ان تؤثر فيه تعاليمهم تاثيراً سيّئاً فيصير واحداً منهم وهو لا يشعر

اما اذا كان صاحب المقتطف يعلم الحقيقة فيخفيها فليحكم كل عاقل اي اسم يليق بمن يسلك هذا المسلك لاسيما في مسائل هي من اهم المسائل وفي حقائق هي من اهم الحقائق لانها ترتبط بسعادة او تعاسة الانسان الابديّة. فاخفاء وتمويه هذه

الحقائق هو لعمري اتم يفوق كل ما يمكن اتيانهُ من الآتام في الامور العالمية بقدر ما يفوق الفكر المادة والعقل الجماد

ولا نخال المقتطف يجهل العدد العديد من العلماء والفلاسفة المشهورين الذين اضطرهم برهان العقل الى القول اليقين بان للانسان نفساً روحية خلقها الله رأساً ممتازة عن الجسم لتتحد بهِ ولا تفنى معهُ . ومع ذلك نرى المقتطف يقسم « الذين يبحثون عن ادلة علمية لمعرفة ما كان الانسان عليهِ قبلما وُلد وما يصير اليهِ بعد ما يموت الى فئتين فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال . . . وفئة تقول ان في الجسم الحيّ روحاً وهذه الروح تنفصل عنهُ احياناً ويبقى حيّاً . . . فكأنهم عادوا الى مذهب التقمص . . . »

لا جرم انك غافل او متغافل . او يخفاك وجود فئة هي اوفر عدداً واعظم شهرةً وجدت منذ القديم وهي باقية الى الآن وتدوم الى آخر الازمنة لانها تستند الى المبادئ الصحيحة والفلسفة الحقة والعلم الراهن وهي منتشرة عند كل الامم والشعوب وفي كل الاديان . أفنسيتَ سقراط وافلاطون وارسطاطاليس وسنيكا وشيشرون ونيوتن وبركلي وكلارك وريد ودوغالد ستوارت ولبنتز واولير وكانت وديكارت وأرنو وبسكال ونيكول وملبرانش وفولتير وروسو ومين دي بيران ورواييه كولار ولامنه وكوزين وقاشرو وجوفروا وكلود برنار وروزميني وغيرهم كثيرين . ولا نذكرك بالعلماء مثل اوغسطينوس وتوما الاكويني والبرتس الكبير وبوسويت وفينلون وغاليله ودي مستر ودي برنالد وسكي وباليس ودونوزو كورتس وباستور وپول بورجه وكوبه وبروتيير تلك النجوم المضيئة في سماء هذا العالم . ولا نعرفك بمن اشتهر بعلم الفلك والرياضيات والطبائع والكيمياء والطب . فهؤلاء كلهم اعتبروا مسألة المسائل اي ماهية النفس لا دينياً بل عقلياً فقالوا واثبتوا عن النفس ما يقوله ويعتقده كل انسان لم يخلع الدين اي ان النفس خلقها الله روحاً حية ناطقة مميزة عن المادة تتحد بالجسم فلا تبيد ولا تتحل بعد انفصالها عنه بالموت بل تبقى الى الابد

فلماذا نشدتك الله سكتَّ عن هذه الفئة المؤلفة من اشهر العلماء وافضل الفلاسفة وعوَّلت على بعض المعاصرين من الماديين والدهريين الذين يعرضون عن

الادلة العقليَّة الراهنة كأنْ لا قوة لها ولا يلتفتون الا الى ما يقع تحت الحواس ويُحلّ كياوياً ويشاهد بالتلسكوب والمكرسكوب

نسأل المقتطف هل لستطلع عن ماهية النفس آراء وتعليم هولاء العلماء . او يظنّ ان العلم كلهُ ينحصر في الرياضيات والطبائع والطب كأنَّ علم الالهيات والفلسفة لا يسمو على هذه العلوم سموّ العقل على المادة . ومن العجب اننا نرى في عصرنا كثيرين ممن يدَّعون العلم يقتصرون على مطالعة كتابات الملحدين والدهريين والمجاهرين بالعداوة للدين والفلسفة الحقة كأنَّ آراءهم المتناقضة هي منتهى العلم وكأن لا احد سواهم يعلم او يفهم وكأنهم وحدهم حازوا المعارف وامتلكوها بمعزل عن غيرهم . فيخطّئون كلَّ من لا يقول بقولهم . فلا حكيم ولا فيلسوف ولا عالم الَّا من يرى رأيهم ويذعن لهم . فيقبلون بطاعة العبيد تلك التعاليم الفاسدة ويتشربونها كالماء الزلال وهي سمّ زعاف يجري في عروقهم ويمتزج بدمائهم وتصير فيهم طبيعة ثانية . فلا يحكمون الَّا بما قرأوه دون تروٍّ وفحص كأنهُ الوحي الربَّاني . ولذا نراهم يتذبذبون في آرائهم وتعاليمهم ناكرين اليوم ما اثبتوه في الامس ورافضين غدًا ما قبلوه اليوم . وكل يرى ان هذا المنهاج ليس من العلم بشيء . فالعالم الحقيقيّ هو من يتبصَّر مدقّقاً في ما يطالع مسترشداً العقل السليم في التنقيب والمقابلة باحثاً في الحقائق بحثاً متزّهاً عن الغرض وازناً كل برهان بميزان الحكمة بعد التأمل المديد الى ان تنكشف لهُ الحقيقة كالشمس من وراء الغيوم فيحكم عن معرفة واقتناع فلا يكون متردداً في آرائهِ . ولو طالع هولاء المدَّعون بالعلم تآليف العلماء والفلاسفة الحقيقيين لاقتبسوا منهم فوائد جمة ولتحققوا ان ما يحسبونهُ مشكلاً عويصاً يصعب حلّه قد عرفهُ وحلّه اولائك العلماء الاعاظم حلًّا شافياً لا يدع للريب مجالاً . ولكن اين مَن يتأمل ويتبصَّر ويعقل

فثبت اذًا انَّ المقتطف جهل او تجاهل . وهذا العمل ليس من خاصة اهل العلم . ومما يُلام عليهِ المقتطف انهُ لدى ذكر رأي الفئة القائلة ان في الجسم الحي روحاً لم يذكر الَّا اصحاب مذهب التقمص فقال « وهذه الروح تنفصل عنه احياناً فيبقى حيًّا وتغادره عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحل في جسم آخر » وهذه الفئة كما لا يخفى وكما اقرَّ المقتطف ليست مؤلفة الَّا من بعض القدماء ومن بعض الهنود الآن فلم لم يخطئ الفئة المؤلفة من عدد لا يحصى من اعاظم واكابر العلماء وقد ذكرنا البعض منهم . افلا قيمة

لهم عنده . حقًا ان المقتطف تعرَّض لمسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة بخفَّةٍ تذهل كل فيلسوف وتدهش وتحزن كل عاقل . وقد ساءنا ان جريدة لبنان التي عرفناها متمسكة بالمبادئ الدينيَّة نقلت مقالة المقتطف كأنها تستحسنها

اما قول المقتطف : « لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم » ففيه نظر . فنسأل اولًا المقتطف ماذا يعني بالشعور . فاذا كان يفهم بهِ الادراك الحسي اي المعرفة بالحواس فنسلِّم لهُ بان النفس لا يبقى فيها الشعور الحسي اذا كانت منفصلة عن الجسم وإن بقيت فيها القوة الحاسَّة لكن غير كاملة لانفصالها عن الجسم اي لعدم كمال الجهاز الحسي . اما اذا اراد بالشعور الادراك العقلي فنجيبهُ ان لنفس الانسان حالتين مختلفتين حالة وجودها متحدة بالجسم وحالة وجودها منفصلة عنهُ بعد الموت وفي كلتا الحالتين لها نوع خصوصي من المعرفة

ففي حال اتحادها بالجسم تدرك الماديَّات وتشترك الحسّ بهذا الادراك . وتعرف غير الماديات بشرط ان يرافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي . اما في حال انفصالها عن الجسم فانها تعرف الماديات وغير الماديات رأسًا دون ان يرافق معرفتها ادراك حسي او تخيل حسي . لان كل كائن يعمل بحسب طبيعتهِ . فالنفس لكونها روحًا تعرف في حال انفصالها عن الجسم كما تعرف الارواح كالملائكة مثلًا او الله وان كانت معرفة الله للاشياء اسمى وغير متناهية . اما كون النفس روحًا فيكفي لبيانهِ انها تدرك معاني غير ماديَّة مثل الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة الخ . فان هذه المعاني لا تقع تحت الحواس

وعليهِ فاستنتاج المقتطف عدم وجود النفس الروحيَّة بعد الموت من عدم وجود الشعور بعد موت الجسم لا يفيدهُ شيئًا لتأييد زعمهِ . وكأنهُ نسي ما اثبتهُ في الصفحة ٢٩٧ و ٢٩٨ من سنتهِ الثالثة عن روحيَّة النفس

وقبل ان ننهي كلامنا لا نرى بدًّا من ملامة المقتطف على انهُ تصرَّف بطيش اثيم اذ لمح في معرض كلامهِ عن حادث تنويم الى « مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة » واثار الصعوبات تاركًا اياها دون جواب ليلقي الشك في العقول شأن كل كاتب يتعمد التضليل . وهذا مما يؤاخذ عليهِ المقتطف بكل حق فانهُ كثيرًا ما ينقل اقوال الملحدين والكفرة من غير ان يتصدى لبيان ما فيها من غث وسمين . وذلك بطريقة

عرض المسائل والاستفهام عنها بقصد ان يتبرأ من تبعتها مُلقياً مع ذلك الشك والارتياب في العقول مضمضاً فيها المبادئ القويمة . وفي هذا ما فيه من التضليل للقراء لانهم ليسوا جميعاً بطبقة عالية من المعارف يستطيعون معها التمييز بين الصواب والغلط . فلا يعذر على اهمال النقد في مثل هذه الامور الّا اذا قال انهُ من مذهب الذين ينقل عنهم لانَّ النقل دون اتباعهِ بما يلزم من التصحيح والتقويم اذا كان ثمَّت ما يستدعي ذلك ليس بشيء من الاستقامة التي هي صفة كل عالم حقيقي

النتائج التاريخيَّة

من درس أعلام الاماكن اللبنانية

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافيَّة والتاريخ في المكتب الشرقي

ليس بين المطَّلعين على اساليب علم التاريخ في عصرنا من يجهل فائدة البحث عن درس اسماء الامكنة فتستأذن قبل الخوض في الموضوع بتعداد منافعهِ بما امكن من الايجاز لندرك معناه الحقيقي وارتباطهُ الجوهري بتاريخ لبنان وجغرافيَّتهِ . فبوصفنا لهذه الفوائد نستدرك ما لعلهُ يطرأ على بال القارىء من سوء التفاهم . ليس غرضنا في هذه المقالة لغويًّا لكن تاريخيًّا محضاً وجغرافيًّا صرفاً اذ لا نقصد البحث عن اسماء المواضع اللبنانيَّة من حيث تركيبها اللغوي ومعناها الاصلي بل جلُّ ما نتوخاه ان نستنتج من درس هذه الاسماء . ومن سياقها وتقلُّبها على سطح الجبل نتائج تؤدي بنا الى معرفة ماضي لبنان

١

١ً اعلم ان درس اصل الاسماء المكانيَّة اعظم ظهير واكبر نصير للتاريخ لان اعلام المكان ترجع الى اقدم اصول اللغة اذ المتبادر الى الذهن ان الرجل اول ما يبدأ بهِ تسمية محل اقامتهِ باسم يعرّفهُ ويميّزهُ . لذلك نرى اعلام المواضع ابقت لنا ذكر حوادث